

[٢ - الحركات]

والآن بعد الكلام عن الحروف الصامتة ، تنتقل إلى القسم الثاني من الباب الأول ، في الحروف الصائتة ، فنقول : إن النحويين القدماء ، وإن كانوا ألموا بخواص الحروف الصامتة ، إلما ما مقبولا حسنا ، فلم يوفقوا إلى معرفة طبيعة الحروف الصائتة ؛ لأنهم كانوا يتأثرون بالخط ، خلافا للنطق ، فرأوا أنه في بعض الأحيان لا يكتب شيء البتة بين الحروف الصامتة ؛ نحو : « فَعَلَّ » ، وأحيانا يكتب بينها حرف من حروف المد ، نحو : « فاعَلَّ » ، فلم يدروا أن الحالتين سيان ، في أن تنطق بعد الفاء حركة في كلتيهما ، إلا أنها مقصورة في الأولى ، وممدودة في الثانية ، بل ظنوا أنه وإن كانت الفاء متحركة في كلتا الحالتين ، أضيف إلى الحركة في الحالة الثانية شيء غيرها هو الألف .

وهذه الضلالة هي منبع ضلالات ومشكلات كثيرة ، نجتنبها نحن ، إذا فهمنا أن الحركات منها مقصورة ومنها ممدودة ، وأن الحركات الممدودة يشار إليها بحروف المد^(١) .

ولهذا السبب نرزم للحركة المقصورة والممدودة بإشارة واحدة ؛ نحو : (a) للفتحة ، ولانفرق بين الممدود منها [والمقصود إلا بخط أفقى فوقها] ؛ نحو (ā) .

وللمد موضع ثان في تركيب الأصوات ، غير مدّ الحركات ، هو التشديد ، فإن الحروف المشددة ، وخصوصا المتأداة^(٢) منها ، من أهم خصائصها أن امتداد نطقها ، أطول من امتداد نطق الحروف غير المشددة . فالتشديد مدّ للحروف الصامتة ، نظير لمد الحروف الصائتة ، أى الحركات . وفي بعض اللغات تقتصر الحروف المشددة ، على كونها ممدودة ، وفي بعضها يحتوى التشديد على خصائص أخرى غير المد .

(١) انظر السر في كتابة الحركات الطويلة على هذا النحو ، في كتابنا : فصول في فقه العربية ٣٩٩

(٢) يقصد : الرخوة . وفي الأصل : « المتأداة » تحريف .